

# 1- الجمع بين النفي والإثبات من القرآن الكريم

[وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، حيث يقول: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } [الإخلاص: 1-4]. الشرح \* قوله: (وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه... إلخ). يشير شيخ الإسلام بذلك أن من صفات الله التي نؤمن بها ما تضمنته سورة الإخلاص وهي: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } فإليها اشتملت على النفي والإثبات. ففي قوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } إثبات للإلهية، وإثبات للأحدية. وفي قوله تعالى: { اللَّهُ الصَّمَدُ } إثبات الصمدية. وهذا في الإثبات. وفي قوله تعالى: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ } نفي الولد والوالد عن الله تعالى. وفي قوله: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } نفي للكفوء، وهو المكافئ. وهذا في النفي. فالحاصل أنها اشتملت على نفي وإثبات. فالصفة الأولى: صفة الإلهية، ومعنى الإلهية: هي الاستحقاق للتأله، ومعنى ذلك أنك تألهه، أي: تحبه وتتخصّص له، وذلك يؤخذ من اسم الله؛ لأنّه في الأصل الإله. ولفظ الجلاله "الله" يعني: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، أي: المستحق لأن يالهوه، أي: يعبدوه. الصفة الثانية: صفة الأحدية، فكونه أحداً يعني واحد، أي: هو الإله الواحد، فلا يجعلوا معه آلة أخرى. أي: لا تألهوا في قلوبكم أحداً غيره، أي: لا تحبوا غيره كحبه؛ وتتقربوا إليه كتقربكم إلى الله ونحو ذلك، بل الله سبحانه هو إلهكم وحده، كما في قوله تعالى: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } [البقرة: 163]. أي: هو المتفرق بالإلهية، وكقوله: { وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ } [المائدة: 73]. الصفة الثالثة: صفة الصمدية، والصمد: معناه الذي تصمد إليه القلوب، أو السيد الذي انتهى سؤدده؛ فهو من أسماء الله تعالى التي تقتضي معاني، فنعتقد أن من أسماء الله الصمد، وأنه الذي تصمد إليه القلوب، وأنه السيد الذي انتهى في سؤدده، فهذا في الإثبات. وأما النفي: فنعتقد أن الله لم يلد ولم يولد، أي: لم يكن له ولد ولا ولد، وقد أكثر الله من نفي الولد؛ لأن المشركين جعلوا له ولداً. كما في قوله تعالى: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا } [الزخرف: 19]. وكما قال: { أَلَيْرَبَكَ الْبَنَاثُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ } [الصافات: 149]. وقال تعالى: { وَقَالُوا إِنَّهُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْنَمْ سَيِّئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَقْطَطِرُنَّ مِنْهُ وَقَسْقَسُ الْأَرْضُ وَتَخَرُّ الْجَبَلُ هَذَا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنَ وَلَدًا وَمَا يَبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَخَدَّ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا } [مريم: 88-93]. فسبب نفي الله الولد عن نفسه هو أن المشركين جعلوا له ولداً، والله تعالى منزه عن ذلك، وهذا النصاري قالوا: المسيح ابن الله، واليهود قالوا: عزيز ابن الله في قوله تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ أَنْ اللَّهُ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } [التوبه: 30]. وقد حكى الله عن الجن أنهم قالوا: { مَا إِنَّهُ صَاحِحٌ وَلَا وَلَدًا } [الجن: 3]. وقال: { أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِحٌ } [الأعراف: 101]. يعني: زوجة، فذلك كله تنزيه لله تعالى؛ لأن الولد غالباً يشبه أباه، والله تعالى يقول: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: 11].؛ لأن الولد يقوم مقام أبيه، وبعينه في ملكه، والله تعالى لا يحتاج إلى ذلك؛ لكمال قيوميته، فهو المتفرق بذلك جل وعلا. وأما قوله: { وَلَمْ يُوْلَدْ } [الإخلاص: 3]. فهو يدل على أنه القديم الأول الذي لم يسبق بعده، فليس له ولد ولا ولد. وأما قوله: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } [الإخلاص: 4]. فإن الكفوء: معناه المكافئ، والمساوي، والنذر، والنطير، والمثيل. فالمعنى: أنه ليس لله تعالى مثيل، ولا شريك، ولا نظير أيا كان ذلك من الكفوء، وهذا في النفي. فإذا قرأت هذه السورة، فيجب عليك أن تعتقد عدة أمور: الأول: الوهية الله: يعني: أنه هو الإله الحق الذي يجب أن يفرد بالألوهية. ثانياً: وحدانيته وتفرده بالإلهية، وأنواع العبادة. ثالثاً: سؤدده وصمديته، وهذه الثلاثة في الإثبات. رابعاً: أن تنزهه عن الولد والوالد. خامساً: أن الكفوء يعني: المكافئ والمساوي، وهذه الأمان في النفي، فتجمع بين الإثبات والنفي. وهذه السورة سورة عظيمة، حتى أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنها تعدل ثلث القرآن أخرجها البخاري رقم (513) في فضائل القرآن، باب: (قل هو الله أحد) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم رقم (811) كتاب صلاة المسافرين، من حديث أبي الدرداء، ورقم (812) من حديث أبي هريرة باب: "فضل قراءة، (قل هو الله أحد)". يعني: في الفضل؛ لأن فضلها كفضل ثلث القرآن، وسميت سورة الإخلاص؛ لأنها أخلصت في إثبات الصفات لله تعالى، أو لأن من يؤمن بها ويعتقد بما دلت عليه يكون من المخلصين.